الأوبئة وفلسفة الفن

Epidemics and the Philosophy of Art

د . زينب لوت
(المدرسة العليا للأساتذة مستغانم- الجزائر).

الملخص:
يلامسُ الفنان الواقع من أجل محاكاة الوجود وتمثيله جماليا عبر اللغة أو التشكيل اللوني أو المسرح لذلك يعد الوباء من الأمراض التي تهدد حياة الانسان ومن خاصيتها الانتشار والعدوى التي تحدث في إطار تدريجي حتى تتسع ويصبح خطرها أكثر تهديدا للموجودات الكائنة، لذلك يكون التعبير عن الذات فلسفة بقاء ومقاومة للفنان، هي ملحمة يثيرها الفنانون درءا للنسيان وتخليدا للأزمات وأثارها على البشرية، تتكون الدراسة من محاور حول المفاهيم الأولية للأوبئة، الحكي وتأثيره في زمن انتشار الفيروسات والامراض، الرسم وعلاقته في تشكيل اللوحة الوبائية.
إشكالية الدراسة: ماهي الفلسفة الفنية في خضم المعناة الوبائية؟ كيف توظف الآثار الأدبية صورة الوباء؟ هل اللون تشكيل للحس النفسي للأوبئة وتصميم للحياة بين التعايش وأمل التعافي؟ أين يقع الفنان في تجسيد المعاناة أم في تبئير الذات والآخر عبر الجمالية التي تفتح أفق التوقع؟
الكلمات المفتاحية: الفن- الفلسفة- الوباء- المحكي- الرسم- المسرح-الأثر.

Summary:
The artist touches reality in order to simulate existence and represent it aesthetically through language, chromatic composition, or theater. Therefore, the epidemic is a disease that threatens human life and its characteristic is the spread and infection that occurs in a gradual framework until it expands and its danger becomes more threatening to the existing assets, so self-expression is a philosophy of survival And resistance to the artist, it is an epic that artists raise in order to ward off oblivion and perpetuate crises and their effects on humanity, the study consists of axes on the initial concepts of epidemics, narration and its impact in the time of the spread of viruses and diseases, drawing and its relationship in the formation of epidemiological painting.
The problem of the study: What is the artistic philosophy in the midst of the epidemiological meaning? How do literary monuments employ the epidemic picture? Is color shaping the psychological sense of epidemics, a design for life between coexistence and the hope of recovery? Where is the artist located in the embodiment of suffering or in focusing on the self and the other through the aesthetic that opens the horizon of expectation?
Key words: art - philosophy - epidemic - spoken - painting - theater - impact.

مقدمة:

يُدرك الكاتب والفنان في علاقته الكونية مجال تميزه الفكري، درجة حضوره وقيمة التَّصوير المجسِّد كينونته الفنية عبر الآثار الّتي تتركها التّغيرات الوجودية نحوه وكيفيات التّأثر والتّأثير الجمالي لتحويل قدرة الفهم إلى ميول ابداعي تشكيلي للفن، يتمركزُ الكُتابُ والرسامون حول القضايا المهمة من خلال القدرة على فهم شكل الألم أو المعاناة التي تترسب في الذاكرة الإنسانية، ثمّ تتحول بدورها لذاكرة جمالية للفن حول رؤية الواقع وتحولاته وجذرية التغير النفسي والاجتماعي والاقتصادي والإنساني بصفة عامة.

تثيرُ الأوبئة حالة ارتقاء أدبي نحو الممكنات أو المضمرات، تلامسُ الحس الأدبي والشاعري للفنانين فتُكَوِّنُ اللوحة والنص ترجمة للمعرفة الشعورية، أو خروجا من أزمة الذات أمام قهر المرض والموت والحياة، الكتابة وممارسة الألوان والحركة المسرحية صوت يؤدي خاصية وجوده، كما يتركها النص جسداً يقاوم النسيان وأثر الخلود.

1- **مرجعية الأوبئة مفاهيم أولية:**

يرتبط مفهوم الوباء بالمجتمع، في ديمومة وجوده واتصاله بالصحة العامة والعدوى وسرعة الانتقال، كما يستوطن فترة زمنية معينة قد تطول لأكثر من عام، يتسم بنفس الاعراض التي يصاب بها عامة الناس في المحيط الاجتماعي أو الدولي أو القاري حسب درجة انتشاره **"وكلمة علم الأوبئةepidemiology مشتقة من كلمةepidemic(التي تعني وباء) المشتقة بدورها من المقطعين اليونانيَّينepi(بمعنى بين) وdemos (بمعنى الناس) إن أوبئةً كسارس وهي تهاجم مجتمعًا سكانيًا في مظهر غير معتاد لأحد الأمراض تتطلب أبحاثًا فورية، غير أن الأسلوب المتبع في البحث في هذه الحالة هو ذاته المطبق على جميع الأمراض بصفة عامة، سواء أكانت غير معتادة في نمطها أو في معدل تكرار الإصابة بها أم متواجدة بصورة دائمة في مجتمع سكاني ما:: « متوطنة » فيه. في حقيقة الأمر، تُستخدم الوسائل نفسها في دراسة الأحداث الفسيولوجية الطبيعية مثل الإنجاب والحمل، والنمو الجسماني والعقلي داخل المجتمعات السكانية. وإيجازًا يمكن القول إن " علم الأوبئة هو علم يدرس الصحة والمرض داخل المجتمعات السكانية"**[1] تنوعت الأوبئة عبر الزمن و أضحت من الأحداث البشرية المتكررة في التاريخ، أهمها وباء الكوليرا (1817 – 1823) الناجمة عن التلوث المائي أو الغذائي وهي أكثر انتشارا في الأماكن الفقيرة ،كما ظهرت الإنفلونزا الإسبانية (1918 – 1919) حدود نهاية الحرب العالمية الأولى ثمّ الإنفلونزا الآسيوية التي انتشرت عام 1957 وثالثهما إنفلونزا هونغ كونغ (1968 – 1970)، أنفلونزا الخنازير (2009 – 2010) الذي أصاب أكثر من 60 مليون شخص في الولايات المتحدة، وباء إيبولا (2014 –2016)حيث ظهر في قرية بغينيا عام وانتشر بوضعية محدودة في البلدان المجاورة غربي أفريقيا 2014.

شهد أواخر 2019م مطلع 2020إلى يومنا هذا، وباءً جديداً تمثل في فيروس كورونا (كوفيد 19) أكثر اتساعا وغرابة في فاعلية وجوده وأثره وسيطرته على استقرار العالم الذي استوطن جميع قاراته، واختلف العلماء في تحديد ماهيته أو مصدره بين التجارب الكيماوية أو أصله الحيواني فكانت مدينة (وهان) في الصين بؤرة انتشاره عبر المحيط القاري، قد أدى ذلك لغلق الحدود بين البلدان والحجر الصحي تفادياً لتفاقم الوضع.

---

[1]- **رودولفو ساراتشي، علم الأوبئة مقدمة قصيرة جدا، ترجمة: أسامة فاروق حسن، مراجعة: مصطفى محمد فؤاد، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة ط/ث1، 2015م، ص.14**

تنتشر الأوبئة منذ الأزمنة السحيقة لكن أسبابها اختلفت حيث يرجع ذلك لوضعيات مختلفة كالاكتشافات القارية مثل وباء (جدري العالم الجديد) سنة 1520 وهو ما صَاحبَ وجود الفيروسات الجديدة الوافدة على المحيط البشري لقارة أمريكا أدت إلى عدم مقاومة السكانِ الأصليين لتلك الأمراض المعدية الحديثة العهد بالنسبة لهم، قضى الجدري وبعض الفيروسات المنتشرة والمتنقلة على معظم سكان أمريكا الشمالية والجنوبية، الذين لاقوا نحبهم إثر التحول الوافد من المكتشفين.

للأوبئة أسباب أخرى قد تتعلق بالاضطراب المناخي أو التلوث البيولوجي، كما "**تحدث الأمراض نتيجة للإصابة بالكائنات الحية مثل الفيروسات والبكتيريا والأوليات (البرتوزوا) ومثلها مثل الكائنات الحية فهي تنحو نحو التكاثر من أجل الحفاظ على نوعها لكن هذا التكاثر سواء كان في الانسان او الحيوان ينتج عنه سموم ومواد ضارة عديدة تؤدي إلى تلف أنسجة العائل الذي تتكاثر فيه ومن ثم إلى مرضه وفي أحيان أخرى يؤدي هذا التكاثر إلى موت العائل الذي تعيش فيه**"[2] أما عن الأزمة الصادمة لفيروس كورونا وتأزم المنطق العلمي في حل هذا الوباء القاتل تصمت القضايا الإنسانية في محك الموت الزاحف بين القارات فلا الحروب اليوم تمارس هيبتها ولا الأسلحة تقرر مصير الانسان.. ولا القوة، أو سلطة المال أو القرار، فقط شكل مجهري معدي يكفي ليمارس هالة الرعب.

يعجز الانسان أمام ممارسة الحياة العادية وينخفضُ سعر البترول ويسقط السقف المالي للعالم يستيقظُ الانسان ليهرع إلى الروح التي تناسى وجودها وانفلت الحس الإنساني بين تسقيف الخبر ومتابعة الحدث أو البحث عن الحلول العلمية والامل في العلاج أو اللقاح، في المجال الأدبي استطاع الكتاب تقديم صور أدبية واستنفذ الفنانون ألوانهم في تصوير الرؤية الخصبة للإنسان أمام قوة الوباء الذي يحاصر حياته وبيئته ومجال حريته وتحرره.

2- الكتابة والمحكي في زمن الوباء:

تنفتح الكتابةُ دائما مع إبداع الذات في الوُجود، وتشفير الواقع في معناه الكوني، ويتأثر الفنان بموجب فنه بالمجال النفسي والسلوكي والذهني أين يتحول المخيال الثقافي الجامع إلى ترجمة الواقع المشترك والتخيل الواسع ليُكوِنَ عالمه الخاص عبر الخطاب الذي ينتجه نحو المتلقي" نتاج عمل وتفكير الإنسان، وشكل مثالي في قالب لغوي للعلاقات الموضوعية التي تحكمها قوانين معينة في عالمنا الموضوعي الدائم الصيرورة، ولا يمكن فهم جوهر المعرفة دون كشف الطبيعة الاجتماعية لنشاط الإنسان العملي، وتتركز في المعرفة قوى الإنسان الاجتماعية"[3] التي يعيد الفنانُ تشخيص المتغير، وتكون المعرفة بالانسجام والديمومة في فهم التحولات والظواهر حيث تصبح الموضوعات عالم المبدع في فتق حدود المعنى.

يخلقُ الوباء حالة أخرى من الأدب أو البحث في تأثيرات هذا الفيروس في المناخ الإبداعي أو ما يمكن للأديب أو الرسام تقاسمه مع التغيير الوبائي فلا بد من وجود خلفيات للباحث في تفسير كل هذه الظواهر أو تقديرها انطلاقاً من حالة الاستشراف مثل رواية: عيون الظلام-(The Face of Fear) التي توقعت وجود وباء كورونا (كوفيد 19) بجميع تفاصيله، كما تعددت العناوين الروائية حول موضوع

---

[2]- شلدون واتس، الأوبئة و التاريخ، المرض والقوة الامبريالية، ترجمة وتقديم، أحمد محمود عبد الجواد، مراجعة : عماد صبحي، المركز القومي للترجمة، إشراف جابر عصفور، القاهرة ، مصر، ط/1، 2010، ص.09

[3] - Al-hefnee, Abd el-monem. Encyclopedia of psychology & psycho-analysis. 4th ed. Cairo: madbouli bookshop, 1994. P.422

الأوبئة منها رواية (وجه الخوف) (The Eyes Of Darkness)للروائي (دين كونتز) (DEAN KOONTZ) الصادرة سنة 1981م وهي تمثيل وصفي لانتشار الفيروس الذي يتحمل الظروف الجوية ويفتك بالإنسان في حروب فيروسية تقضي على الأخضر واليابس أما رواية (الطاعون) لألبير كامو التي نشرت سنة 1947م تشكيل تدريجي لحركة العدوى الوبائية في مجتمع يواجه المستعمر والمرض، في السنة نفسها التي صدرت قصيدة (الكوليرا) للشاعرة العراقية (نازك الملائكة) وغيرها من الأعمال البارزة تاريخيا.

تمنح رواية الطاعون (لألبير كامو) تفصيلا حياً ودقيقاً لاستعراض تفاصيل الوباء منذ ظهوره على الحيوانات مثل القوارض وانتقاله إلى الانسان حتى انتشاره السريع بين ربوع المدينة **"ولكن الحمى ارتفعت دفعة واحدة عند الظهر إلى الأربعين وكان المريض يهذي دون ما توقف ويقيء باستمرار، وكان ملمس غدد العنق مؤلماً وكان يبدو أن البواب يرغب في أن يبعد رأسه ما وسعه عن جسمه وكانت امرأته جالسة عند قدم السرير ويداها على الغطاء ممسكتان قدمي المريض برفق وهي تنظر إلى ريو وقال هذا:**

- **اسمعي يجب عزله ومحاولة معالجته معالجة استثنائية انني سأخابر المستشفى وسننقله في سيارة إسعاف"**[4] محكي يقارب الحقائق والوقائع في الجزائر مدينة وهران سنة1940 ، يتم توصيف الحياة الطبيعية للجزائريين عاداتهم وتقاليدهم ونضالهم أمام وطأة الاستعمار ومواجهة المصير البائس ضد الطاعون الذي يحصد آلاف الضحايا كل يوم، وقد أدى انتشار التخلف والجوع وبساطة التعامل الذهني والعلمي مع الأمراض إلى العدوى التي حصدت الأرواح، حتّى انحسرت الوضعية الوبائية وبدأ يقل عدد الضحايا أين يُعلن المجلس البلدي أن الوباء قد اضمحل لكن أبواب المدينة ستظل مقفلة وتبقى التدابير الصحية على سبيل حماية المواطنين تحسبا لعودة انتشار الوباء بين أرجاءها.

تمثلُ رواية(سماء بلا قاع) للأديبة التشكيلية (هانا أندرو نيكوفا) التي نالت جائزة (مجنيزيا ليتر) توثيقا شعوريا للمرض وأعراضه النفسية، يصور الحكي تقاطعاً مع حالة الحجر أو الحس الروحي التي يحتجزه جسد المريض في مستويات الذي يحاول الانسان تفادي القدر ببعض من الأمل " بعد ستة أسابيع يزداد عمري خمسة أعوام، بعد ستة أسابيع أشعر بالضيق، من رائحة قرحة الفراش، والمُطهرات، والحوائط الزجاجية وأبواب المستشفيات، ومن الوجوه ومن كوابيسي، أشعر بالضيق من صمتك"[5] **تحكي الكاتبة مقاومة بطلتها (إما) التي تعاني من مرض السرطان ولكنها تواصل ممارسة حياتها بالمتعة ذاتها الّتي تخفي فيها أعراض المرض.**

ما بعد كورونا تتجه الثقافة والكتابة إلى فكر عقلاني حيث تصبح مهتمة بالعلوم واسترسالها في أجواء الكتابة لان القارئ الذي يمر بحالة الطوارئ والترقب سيجدد رؤيته للكون، ستتحول الرواية أكثر تفصيلا في تشييد مناعة اللغة ضد الموت لأن الفناء كان تهديدا دائماً وستجد الأحداث بدائل لافتراض حياة أكثر رحابة أما الشعر سينغلق أكثر في محيطه الوجداني باحثا عن الذات التي قهرتها المخاوف ينطلق المسرح في تكثيف الحركة عودة للصوت والصخب والبعث لهدم سُكون كسر تواجده.

3- تمثيل الوباء في مسرحية (قاع) للكاتب العراقي (عمار نعمة جابر) نموذجا:

---

[4]- ألبير كامو، الطاعون، ترجمة: سهيل إدريس، دار الآداب بيروت لبنان، ط/1، 1981،ص.24-25

[5]- هانا أندرو نيكوفا، سماء بلا قاع، تر: خالد البرتاجي، ط/1، الناشر ابن رشد، القاهرة، 2018م،ص.13

تواجه مسرحية (قاع) للكاتب العراقي (عمار نعمة جابر) خلية أزمة صحية كأفق عمودي (للقاص) داخل (الحجر الصحي) في سفينة خشبية وهدير البحر يرافق المشاهد ويصاحب المحكي الحواري بين الشخصيات من توصيف المكان كاستراتيجية توزيع الأدوار فوق الخشبة بين(السيدة) التي تلازمها حالات هيسترية بسبب فقدان حبيبها وزواجها مقابل المال وهروبها من العنف الذي يمارسه زوجها إلى فقدان صحتها العقلية تدريجياً، و(الفتاة) التي تعيد بناء الماضي الحضاري عبر (جَدِهَا) ومقولاته وحكمه، (القِسُ) المنحدر من أصول الدين وطقوس الدعاء لرفع الوباء أو حماية النفس البشرية، و(البدين) الذي يتقلب في سريره باحثاً عن النجاة والغذاء داخل السفينة ويعر(القاص) مكانة قصدية الرحلة المجهولة بين جدران تقضمها الجردان بعدما فتحت باب المكان، سرعان ما ستنهشُ ما تبقى وستتزل السفينة نحو قاع لا يحتمل الزمن والمكان ويدفن الماضي والحاضر وهنا أفق مفتوح للتاريخ حيث أنّ السومريين هم أول من تمكنوا من بناء السفن الضخمة، وصمموا خرائط البحار والمحيطات، وأتقنوا فن الملاحة، وقسموا التاريخ إلى قسمين ما قبل طوفان نوح وما بعده من الحضارة التي عاشها البشر، والمؤلف (عمار نعمة جابر) في المسرحية استخدم السفينة لشخصيات احتجزت لتَّعزِلٍ مجموعة من المرضى عن البشرية بسبب إصابتها بمرض الجرب المعدي وفي عزلتها تُدرك أنها شخصيات مهملة في عالم الفوضى والمحيط اللاإنساني الذي رماها في عرض البحر وسرعان ما يستودعها في قاع كأنها نكرة لا تعريف لوجودها ولا حاجة لتواجدها.

أما في المعنى الرخو القابل للتأويل، قاعٌ يتمثلُ عبر الذوات الفاعلة في الحوار بين شخصيات (القاص-البدين-الفتاة-القس-السيدة) تَنَوُّعٌ اجتماعيٌ لنماذج العرض لأنه يحملنا لمستوى- استعراض النص - مثلما يستعرض الكاتب الانعكاس الواقعي ويثير المخيال الثقافي كبديل لمفهوم الإخراج وهذا ما نلامسه عبر عملية المشاهدة ومحاكاة المحاكاة " وفي ظل هذا الافتراض تأكدت فكرة الفن كمحاكاة لهذه الحقيقة الموضوعية البالغة الدقة-أي أن الفن أصبح مرآة لهذا العالم الخارجي الموضوعي وأصبحت دقة المحاكاة هي الهدف المنشود وفي ظل مبدأ المحاكاة"[6] وتتعدد المرايا في المسرحية لتكون منكسرة تخدشُ جدلية السؤال لماذا اختار المؤلف (عمار نعمة جابر) الحجر الصحي كحالة عرض و السفينة والبحر وهوس القابعين خارج حرياتهم أو هاربين إلى الخواء؟ لكنه الفن بمقاييس الفنان ومفارقاته، أين تكون البدائل الأبستمولوجيا للمعرفة النظرية لكل ذات، فالقاص هو الرجل الذي يَحبِكُ أسوار الحجر الصحي في السفينة ويشكلُ الصفات والموصوفات وينسجُ الانتقال الزمني من رتابة المكوث في السفينة إلى أن تصفه الفتاة بقولها:" الفتاة : (بغضب) أية وجهه تعني؟ .. يبدو انك تنسى مكانك الذي أنت فيه (تقترب من القاص) أنت في غرفة للحجر الصحي يا سيدي ، في سفينة تسير في عرض البحر.. لا يعرف أحد منا أين تتجه ، ولا متى ترسوا .. أنت مقذوف في سلة مهملات هذه السفينة .. أنت في القاع .. أنت في عداد الأموات بالنسبة لمن في الأعلى ، يلقون لك كالكلاب فتات قصاعهم المليئة بالأطعمة ، وسيقطعون ذلك متى شاءوا .. ليس لأحد منا حول ولا قوة فيما نحن فيه ... لكن .. لكن جدي كان يقول دائماً أنها سترسو يوماً ما ... لابد لهذه السفينة من ميناء ترسو إليه ."[7] تتخبط حوارات الأمل بالنجاة وتساؤلات تتلاشى مع محورية الوجود، واضمحلال مصير انساني منفلت بلا حدود افتراضية للنجاة أو الأمل بالعودة، حيث يكون تعزيز قدرة المؤلف على ترميم الهوة باستنكار دائم، وانتقال مباشر لمؤثرات هدير البحر وهو صدى الصمت البشري.

4 - اللوحة التشكيلية مقاربة فلسفية للألوان:

---

[6]- نهاد صليحة، المدارس المسرحية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مهرجان القراءة للجميع،1994، ص.14

[7]- عمار نعمة جابر، مسرحية قاع، نادي.. الضحك، وزارة الثقافة العراقية، 2010، ص.13

الفنان المصري المغترب (عكاشة عبد الرزاق) يرسم الحقيقة الإنسانية في إطار اللوحة، تتمثلُ اللّغة التشكيلية عبر مجموعة من التراكيب الّتي تتصدرُ مثولها في التّرميز الجمالي للأشياء، وفي تحويل الواقع لتفاصيل تتداخل وتتماثل في تأدية الخطاب بمختلف مواقفه الانفعالية والتفاعلية علماً بالتواصل المستمر للأحداث والتغيرات التي تستجيب لها أنامل الفنان في ترسيم معالم الحياة وتشفير أثر الرحلة الفنية الصاخبة بالأضواء والملامح البشرية التي يراها بكل دقة تتدفق منها مدارج السؤال ومنفى الاستفهام الذي ينطوي في الصورة ويتخذ مركزيته، وقدرته على توطيد العلاقة البصرية في ترجمة الفكر.

تكون للذاكرة أثر قوي في تحديد إطار اللوحة وعمقا وكنهها، وللشخصية الفنية أثرها وسط مجتمع تكتظ فيه ثقافات غربية معاصرة لكن المخيال الثقافي يسيطر بشكل كبير في ترجمة الحس الجمالي، اقتطفت هذا الحوار الذي أجرته (بسمة شيخو) اليوم السابع من شهر نوفمبر2015 حيث يصرح الفنان (عبد الرزاق عكاشة): "حين تتذكر أن خلفك الأندلس وحضارات كبيرة مرّت في المنطقة العربية فهذا يجعلك تنهض بنفسك، تثقّف نفسك وتصلحها بالقراءة وتطوير موهبتك وتجهيز نفسك للحياة. كنت مهدداً في الحياة الباريسية أن أتخلى عن حياتي الإبداعية ولذلك كان التحدي كبيراً، وفكرت أن يكون الفن وسيلة انتصار بالنسبة لي من خلالها أستعيد الأجواء الحميمية لمصر التي تسكنني وللثقافة العربية التي لم أتخل عنها لتكون وقاية لي، حتى لا أتوه في خضم الحياة ولا يستنزفني اليومي ولا تصطادني أنوار باريس. لذلك أنا أستعيد الماضي وطفولتي في أزقة قريتي المصرية لتكون قبعة على رأسي في الكِبر إلى أن أهرم" تكون الفترة الحميمة مع التّكوين الشّخصي للفنان هي أرقى الفترات التي مارست صقل المناخ الفني لديه والثقافي الاجتماعي والسلوكي، وتمكن خلالها بوضع هويته الأساسية كحجر أساس يمكنه من مواجهة صراع الحضارات، واختلال المكان والزمان، ومن رفع إمكانيات البقاء و التميز لأنها تحمل المرجعية الوجودية لكينونته.

كما يؤكد هذا التّمسك البيئي والإنساني ما نلامسه في مقال (د. محمد الناصر من جريدة الاهرام – 27أوت 2010) " قدم عكاشة على مدار العامين الماضيين جسراً للتواصل بين فرنسا ومصر فى معرض أقيم بمركز محمود مختار الثقافى وكذلك حوار جنوب - جنوب الذى عقد بين (نيس) و (أسيوط) من خلال معرض ومؤتمر دولى يشرف عليه الفنان المصرى منصور المنسى رئيس قسم التربية الفنية بكلية التربية النوعية بجامعة أسيوط كما قدم عكاشة جسراً للتواصل صالون الخريف والمملكة العربية السعودية والذى أقيم مؤخراً فى مدينة الرياض وضم مجموعة من الفنانين السعوديين والفرنسيين بمبادرة من الفنانة السعودية هدى العمر." وهي حيثيات زمنية تشير لترجمة البيئة العالقة في ذهن الفنان كممارسة للهوية والتميز والخصوصية الدائمة التي يمكن أن تجتمع في مساره الفني.

تمثيل الموت والحياة واضطراب السياسة والاقتصاد بين محاولة الخلاص وتدافع الخسائر البشرية أمام موجه برد، أو حالة وباء قاتل أو الحروب والمجاعات ليست بحجم ضياع الانسان في هالة فقدان الذات الإنسانية محور لوحات الفنان (عكاشة سعيد) يحاول دمج خلية الألوان الباردة و الحارة التي تمزج الاختلاف والبحث عن مرجعية الاستقرار في ظل الاختلال، مع جائحة وباء كورونا(كوفيد19) الأخيرة التي فتك بالكثير من الأرواح البشرية في المعمورة وخلف وجود هذه الجائحة .

في اللوحة تسيج للرأي أو الرأي المسيج المناوئ ترتقي الألوان والأشكال بصورة متزاحمة عن كيفية التفكير والفكر المكيف حسب الوقائع فالحجر يخزن واقع الأفكار بتقلباتها وتنبني مزاجية متعالية،

يبرز اللون الأخضر في اللوحة حيث تصفه الفنانة (كلود عبيد: 2013) أنه "يرتبط اللون الأخضر بالصواعق، ويعبر عنه في الصين بكلمة من ثلاث أحرف (تشن) تعني الارتجاج أو الاهتزاز، (التجليات التي تحدثها الطبيعة في الربيع)والرعد هو علاقة بدء صعود اليانغ، ويتطابق أيضا مع العنصر البشري"[8] المتأجج بالخطابات المقيدة لا يكتفي الانسان بمعرفة الصواب او التأكد من صحته من حيث تختلف الذهنيات وتتصاعد الأوتار بين العودة إلى مجرى الوجود، "الأخضر هو استفاقة المياه البدئية، هو استفاقة الحياة فيشنو حامل الكون يصور على شكل سلحفاة خضراء الوجه فيلكا نيللي الآلهة الهندية للمادة الفلسفية المولودة من الحليب ذات جسد أخضر مثل فينوس فياداس.." (الألوان: ص.92) ويتخذ هذا اللون رموز الأبدية والخلود.

اللون الأزرق في اللوحة متسرب بين الفاتح المختلط والعميق "الأزرق أعمق الألوان يدخله النظر دون أية عوائق، ويسرح فيه إلى مالا نهاية حتى لكأننا أمام هروب مستمر للون هو لون أثيري"[9] إعادة تصميم الواقع لا بد بتفتيت وتفنيد محتوياته، والتوجه نحو فعل الرسم التشكيلي حسب القوانين الفنية وقدرة الفنان في فهم كينونة الحياة وإعادة تكوين فكرة الفهم الجمالي المفسرة للكون، لإثارة حالة موضوع ذا صلة بمضمون العالم وتغيراته.

- اللوحة الملثمة حجر الألوان للأشكال:

يشعر الفنان باستياء ويعبر عن هذا الشعور بتجويف للون الأسود وتقليص الشكل مقارنة بالألوان وهذه اللوحة موجة من التساؤلات إلى متى سيظل البشر يهرعون خلف الأخبار الصحيحة والمزيفة؟، كيف يمكن تمويه الحقيقة وتجذيف التفاصيل؟ متى يعيش البشر بصدق مع عالمهم البشري؟ ربما يحس الفنان بالهوة بينه وبين الواقع، والدور الخطير للإعلام "لقد أثبتت بعض الدراسات الدور الخطير الذي تقوم به وسائل الاتصال الحديثة في تنسيق الأخبار، بما يوافق مصالح الأقوياء كما يقول احد الباحثين في مجال الإعلام" [10] ولذلك يصبح تخوم الحقائق في جُبِّ التلاشي والتناثر بين

---

[8]- كلود عبيد ، الالوان (دورها تصنيفها مصادرها رمزيتها ، ودلالتها ، مراجعة محمد محمود ، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات و النشر و التوزيع ،بيروت لبنان ، ط/1، 2013م ، ص:93

[9]- كلود عبيد ، الالوان (دورها تصنيفها مصادرها رمزيتها ، ودلالتها ،ص.81

[10]- عبد القادر تومي ، الإعلام وأزمة الخطاب العولمي ، : قراءة نقدية في مرآة الإعلام المؤدلج ، مجلة الحكمة ، 14ديسمبر 2010،ص.4

ما هو صحيح وزائف و ما هو منطقي واستدلالي شوه وجه الوجود والتواجد، أو ربما هو انزعاج الفنان (عبد الرزاق عكاشة) من تسرب الوهم في حياتنا واتساع هوة الايهام هذه الرؤية غير الواضحة شكلتها هذه اللوحة بعمق حيث لا تظهر العيون ويكون كل شيء مظلم ويتخلله فكر إعلامي قاحل، لا يمنح الثقافة الاتساع والحرية في أداء مهامه التوعوية والفكرية هذا الهدم خلف العديد من اللوحات التشكيلية عند الفنان الوجوه الشاحبة والملثمة والحائرة في مصيرها امام صراع لا متناهي يتعايش معه الفن بأقصى محتوياته المرئية و اللامرئية وكل المتغيرات الكونية تجد مفهومها العميق والدفين في عبقرية الفنان "فالكون الساكن والكون بالإضافة يتصارعان والشيء يكون في هذا غير ما يكونه في ذاك"[11] يرتبط (عبد الرزاق عكاشة) في تقاسم المشتَّرك الحسِّي مع المحيط والذاكرة والحضارة و المتغيرات في مقاربة عمق الأشياء، والتَّعامل الرُوحي المنفلت في أقصى سكون في الوجود الّذي يختبئ خلف دلالاته، ومعانيه، وجائحة كورنا خلفت ذلك المتسائل الدائم والمستفسر خلف الظواهر الكونية والإنسانية والإعلامية والمنظومة الدولية في مواجهة اختلال الحياة انحدارها نحو خلق أنماط فنية حداثية تتنامى وظاهرة الكوارث الطبيعية والبشرية في اكتساب هوية فنية يملكها ويتملكها الفنان (عبد الرزاق عكاشة) في لوحاته التشكيلية مع خطاب كورونا.

الخاتمة:

الفن هو فلسفة الحياة مقاربة تتجاوب مع الحس وتستطيع توخي العميق وتصوير المضمر، لعل الجمالية تخفيف للواقع ومخاطبة "أفكارنا حبيسة عقولنا لكن المعلومات إلى حد ما موجودة في العالم الخارجي، وأيا كانت هذه المعلومات فإنها موجودة في مكان ما بين العالم المادي المحيط بنا وبين العالم العقلي للفكر الإنساني"[12] بين الإدراك والوعي هناك جدلية بناء معرفي وفني تتخذ من العبقرية محاكاة الطبيعة الإنسانية والبيئية ومحاولة بناء عالم موجود بتفاصيله.

[11]- هيغل، فنولوجيا الرّوح، تر ناجي العونلّي، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت ،لبنان ،ط/1 ،2006، ص.319.

[12] - دفلين كيث، الانسان و المعرفة في عصر المعلومات، كيف تحول المعلومات إلى معرفة، تر: شادن اليافي، مكتبة الكبيعان، الرياض، 2001، ص.45.